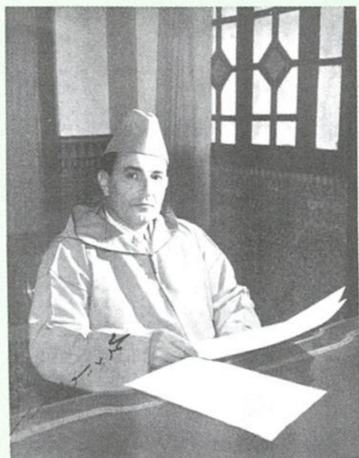
دعوة الحق

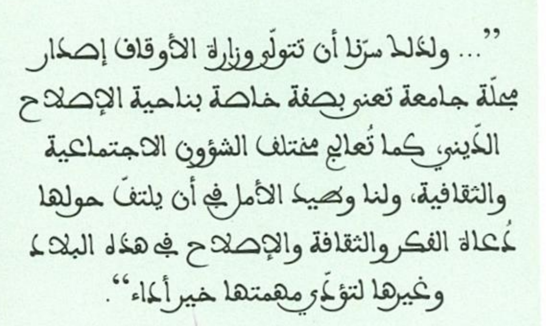
مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة السادسة والستون - العدد 442 - ذو الحجة 1444 هـ/يوليوز 2023 م



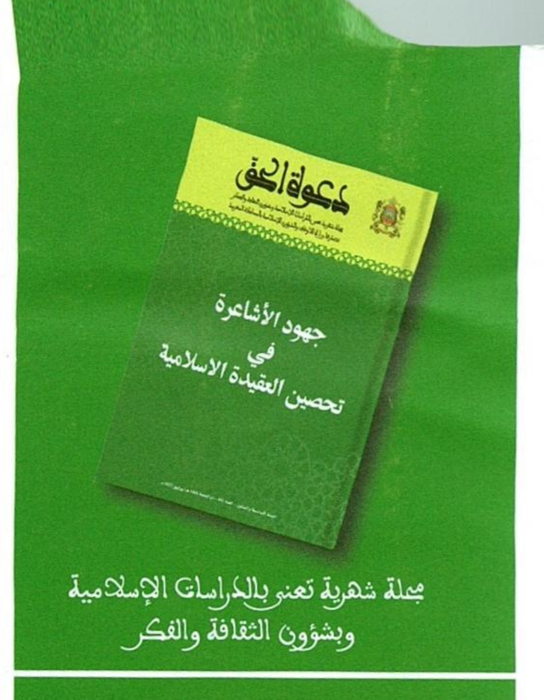
أسسها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ/1957م





من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.



مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

مدير المجلة
الأستاذ عبد العزيز أوالعسري

***

رئيس التحرير
الأستاذ عبد الحميد العلمي

***

العنوان
مديرية الشؤون الإسلامية،
وزارة الأوقاف الإسلامية
المشور السعيد – الرباط
الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma
البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير
05 37 76 59 05

هاتف مدير المجلة
05 37 66 06 74 / فاكس: 21 17 76 37 05

التوزيع
هاتف وفاكس: 10 32 76 37 05

الحساب البنكي
القرض الفلاحي – وكالة الحسابات الكبرى– الرباط:
RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة
الاشتراك التشجيعي: 500 درهم
المملكة المغربية : 150 درهم
الخارج : 300 درهم

ثمن العدد: 15 درهم

رقم الإيداع القانوني: 1981/3
الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة
مطبعة المعارف الجديدة/الرباط - 2023

شيخ الجماعة محمد المكي البَطاوري (1274-1355هـ) وجهوده في خدمة العقيدة الأشعرية

ذ. عدنان زُهار

أستاذ باحث بالجديدة

تقديم:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فقد أثبت الواقع أن المذاهب التي أسسها أصحابها، ونظموا دعائمها، لا تبقى بعدهم، إن خلت الأزمنة من رجال عنها منافحين، ولأصولها وفروعها حماة مدافعين، كما هو مشهور في كثير من المذاهب الفقهية البائدة، كمذهب سفيان الثوري بالعراق، ومذهب الليث بن سعد بمصر، ومذهب عبد الرحمن الأوزاعي بالشام، وغيرها؛ بل، وانطمست معالم مذاهبَ نحوية وأدبية وأصولية وفلسفية وحديثية وعقدية كثيرةٍ، للسبب نفسه، إضافة لأسباب موضوعية وعلمية أخرى، لكنها في تأثير اضمحلال تلك المدارس أقلُّ منزلة.

والعقيدة الأشعرية مدرسة فكرية مبنية على الجمع بين العقل والنقل، في مسائل التوحيد المفرَّعة إلى الأقسام الثلاثة الشهيرة: إلهيات ونبوات وسمعيات، وهي مدرسة فكرية عقدية ساخنة، في زمان أبي الحسن وقبله وبعده.

ورغم كل تلك النزاعات الغارقة في العصبية، والمتأثرة سلبا وإيجابا بالسياسة، بقي مذهب الأشعري رائدا، وظل عصورا طويلة وقرونا مديدة على غيره من المذاهب العقدية ظاهرا. لم تؤثر فيه رياح النعرات، ولا معارك طلب العثرات، حتى انتسب إليه فحول الأمة في كل علوم الملة، حديثا وتفسيرا ولغة وأدبا وأصولا وتأريخا وطبا وهندسة، وغير ذلك.

قال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»[1]: «اعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يُبدع رأيا، ولم يُنشئ مذهبا، وإنما هو مقرِّرٌ لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقا وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السالك سبيله في الدلائل؛ يسمى أشعريا». اهـ.

ويقول أيضا[2]: «وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله».

ثم يقول بعد ذلك: «وبالجملة؛ عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي، التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول، ورضوها عقيدة». اهـ.

وقال الشيخ محمد العربي ابن التُّبَّاني، شيخ المالكية في الحرم المكي[3]: «فحول المحدثين من بعد أبي الحسن إلى عصرنا هذا أشاعرة، وكتب التاريخ والطبقات ناطقة بذلك». اهـ.

وإنما كان للمذهب الأشعري هذا الظهور على غيره، لصحة أصوله من جهة، ولوجود طبقات متعاقبة من العلماء على طريقة إمامه، تجردوا لبيان الغامض، ورفع ستار المشكل، والجواب عن استفسار المشكك؛ ولأجل هذا، جمع أسماءَ بعضِهم إمامُ الأشاعرة في زمانه، الحافظُ ابنُ عساكر الدمشقي رحمه الله، في كتابه النفيس: «تبيين كذب المفتري فيما نسب للأشعري». وقدمه بمقدمة في التعريف بالإمام أبي الحسن الأشعري، وتاريخ نظره في المباحث العقدية، وما قيل فيه من تعديل وتبجيل.

ولم يشِذَّ عن هذا المسلك علماء المغرب، على عادتهم في قبول الأصلح، والتمسك به في كل قضايا الدين. فبمجرد ما عرفت عقيدة الأشعرية في المغرب - بما هو مفصل في كتب التاريخ والدراسات العلمية- اعتقد فيها الأئمة الأعلام، واعتنقوا مذهبها بلا شك ولا ارتياب، بل وكان لهم - بعد أن نضجت العقيدة في دارهم، واستوت على جودي القناعة والإقناع- دَورٌ في التأليف فيها، والتصنيف في مباحثها، سواء في تقريرها اختصارا، أو بسط مباحثها تفصيلا وإطنابا، أو الجواب عن الإشكالات الواردة عليها احتجاجا واستدلالا، أو نظم مبادئها تأصيلا وتفريعا...

وبرزت في زمن الدولة العلوية المجيدة أسماء أعلام مجددين، لهم قدم صدق في علوم الدنيا والدين، ألفوا وحاضروا ودرسوا، وعمروا المدارس بالعلوم التي بثوها في الطلاب، ونقحوا الفوائد والفرائد كتابا

1 - «طبقات الشافعية»، 2/ 254.

2 - «معيد النعم ومبيد النقم»، ص 62.

3 - «براءة الأشعريين من عقائد المخالفين»، ص 120.

بعد كتاب، بما تجد بعضه موجودا في كتاب «النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية»، للعلامة المؤرخ المولى عبد الرحمن بن زيدان، رحمه الله.

ومن هؤلاء الأعلام الذين شاركوا في عدة علوم، وبصموا تاريخ العلم والمعرفة في الأزمنة المتأخرة، الإمام العلامة شيخ الجماعة سيدي محمد المكي بن محمد البطاوري الرباطي، المتوفى رحمه الله عام (1355هـ).

وها أنا ذاكر في المباحث الآتية، بعض أياديه البيضاء على العقيدة الأشعرية.

المبحث الأول: التعريف بالبطاوري[4]

هو الفقيه المحدث سيدي محمد المكي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن سعيد، أبو حامد، الشهير بالبطاوري الشرشالي، المحدث الحافظ، شيخ الجماعة بالرباط بلا مدافع، وحامل لواء العلم والتدريس بها بلا منازع.

ولد في ربيع الأول عام 1274هـ، ونشأ في أسرة معروفة بالعلم. قرأ القرآن أولا على والده، ثم انتقل إلى كتاب الأستاذ المؤدب الشاعر الكاتب محمد بن أحمد الرغاي الرباطي، وعنه تلقى مبادئ الحساب، وبعض علوم الآداب، وحفظ عدة متون. ثم بعد ذلك شرع في تلقي العلم على يد جماعة من المتقنين والعلماء العاملين، كـ: العلامة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي، وعمه أبي عبد الله محمد التهامي بن علي البطاوري، وأبي عبد الله الهاشمي بن أحمد الزياني، والقاضي أبي العباس أحمد بن عبد السلام مُلين، وغيرهم.

وحجّ، فسمع بالمدينة المنورة المسلسل بالأولية من الشيخ عبد الجليل برادة وأجازه. ولقي أيضا في وجهته هذه بالإسكندرية، أبا إسحاق إبراهيم باشا، والشيخ عبد اللطيف الحلبي، وتلقى منهما.

وبلغ المترجم مكانة علمية مرموقة، أهلته لتولي عدة مناصب؛ فعمل كاتبا مع صهره محمد بركاش، النائب السلطاني بطنجة آنذاك، سنة 1290هـ. ومكث في عمله هذا زهاء عشر سنوات، ثم انتدبه الخليفة المولى رشيد بن عبد الرحمن بن هشام لتعليم أولاده. وفي سنة 1311هـ عيّنه السلطان المولى الحسن الأول لتعليم أولاده، الذين كانوا بقبيلة مزاب. وبعد ذلك، عُين عدلا بمرسى الرباط مرتين، ثم صار عدلا بديوانة طنجة. وفي سنة 1323هـ ورد تعيينه قاضيا برباط الفتح، فتولى قضاءها إلى أن أعفي سنة 1333هـ.

---

4 - مصادر الترجمة: «**الاغتباط**»، لبوجندار، ص230؛ «**إتحاف المطالع**»، لابن سودة، 2/ 475؛ «**من أعلام الفكر المعاصر**»: 2/ 214-226، و«**شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري**»، كلاهما لعبد الله الجراري؛ «**سل النصال**»، لعبد السلام ابن سودة، ص80-81؛ «**معلمة المغرب**»، لجماعة من العلماء، 4/ 1261-1262.

ومن ثناء العلماء عليه، ما قاله في حقه الفقيه مولاي أحمد بن المامون البلغيثي (ت1348): «مركز دائرة الأدب وواسطة قلادته، ومعنى شرف الرتب ورابطة إفادته، الحائز قصب السبق في حلبة الفضائل، المتسم برقة الطبع، حسن الشمائل، العلامة النقاد، المتفنن النحرير، الدراكة بالذهن الوقاد...»، إلى آخر كلامه، في رسالة بعث بها إليه.

وقال عنه الشيخ عبد السلام ابن سودة: "العالم العلامة الجليل، حامل راية التحقيق بالرباط، وشيخ الجماعة به».

رُزق رحمه الله الإعانة على التأليف، مع الجودة والتلخيص، فزادت مؤلفاته على الأربعين مؤلفا، بين مطبوع ومخطوط. وهذه بعض أسمائها: «الدروس الحديثية في المجالس الحفيظية»، «الاستسعاد بشرح قصيدة بانت سعاد»، «شرح البيقونية»، «طرر وهوامش على نسخة من مختصر الإمام البخاري لابن أبي جمرة»، «تقييد في ختم الموطأ»، و«تقييد على الموطأ»، وهو عبارة عن حواش وتقريرات وضعها على نسخته من الموطأ، وغيرها من المؤلفات النافعة، والكتب الماتعة في أبوابها.

«شرح الأرجوزة الفائقة المستعذبة الرائقة فيما يحتاج الأتاي إليه ويتوقف شربه وإقامته عليه، لأديب فاس عبد السلام الأزموري».

وافاه الأجل المحتوم ليلة الأربعاء ثاني محرم سنة 1355هـ/ 25 مارس 1936م، ودفن بالرباط.

المبحث الثاني: اعتناء البطاوري بالعقيدة الأشعرية دراسة وتدريسا وتأليفا

لا يخفى على متتبع مطلع، أن العقيدة الأشعرية هي عقيدة جمهور أهل السنة والجماعة. وعلماء المغرب عن بكرة أبيهم كانوا أشاعرة، اللهم من شذ منهم فانتحل مذهبا في الأصول غير مذهب الجماعة، لأسباب موضوعية وتاريخية، بل ونفسية، يحتاج ملخصها إلى دراسة مستقلة أخرى.

ولم يكن يعرف في المغرب منذ عهد الموحدين عقيدة غير الأشعرية، بل اجتهد العلماء المغاربة لتأليف المطولات والمختصرات، وقيدوا التقاييد المختلفات، لتثبيت عقيدة الأشعري، بحيث لم يعلم لهم مخالف، حتى قيل: إن لأشعرية المغرب خصوصية ليست لغيرهم من بلاد الإسلام.

ذلك أن تقريراتهم في العقيدة الأشعرية ابتدائية تعليمية، لعدم وجود المنكر وكثرة المعاند، بخلاف أشاعرة المشرق، الذين عانوا من المذاهب المخالفة والمعتقدات المختلفة، الشيء الذي أحوجهم إلى سلوك منحى آخر في التأليف في العقيدة الأشعرية، بموجب الرد والتصويب والجدل والحجاج.

أما الشيخ البطاوري، فقد فتح عينيه على أكبر علماء الأشاعرة في زمانه، الذين لم يسمحوا بتسريب غيرها إلى مدارس الشريعة في المغرب، سواء بفاس أو الرباط أو مراكش أو طنجة، أو غيرها. كما أنه تلقى

في مبتدإ أمره مبادئ العقيدة الأشعرية، وانطبع بها انطباعا كبيرا، بقي أثره وظهر في إنتاجاته ومؤلفاته، كما سيأتي.

فقد قرأ «جوهرة التوحيد» للقاني على الخطيب القاضي أحمد بناني، وهي من المنظومات الشهيرة المختصرة لعقيدة الأشاعرة، ومعتمدة في تدريس العقائد في المغرب وأكثر البلاد الإسلامية.

ودرس أيضا «المرشد المعين» على يد شيخه إبراهيم التادلي، والمعروف عند الطلاب أن القسم الأول منه خاص بالعقيدة الأشعرية، حيث قال ابن عاشر في مبتدئه:

في عقد الأشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك

كما درس متونا أخرى في العقيدة أو في مقدماتها، مثل: «مختصر» السنوسي في المنطق بشرحه أيضا، وطرفا من «إيساغوجي»؛ وهما متنان مهمان، لفهم عويصات علم الكلام على طريقة الأشعرية.

ولا شك أن هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم وسمع منهم البطاوري، وهذه الكتب التي درسها وفحص ما فيها، وفُكت له مغلقاتها، سيكون لذلك أثر كبير في بناء فكره العقدي، وتثبيته على مذهب أهل السنة المنتحلين مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

وهو ما لا تردد فيه، حيث صار الشيخ محمد المكي البطاوري أحد أبرز علماء الأشاعرة، يُدرج في طبقاتهم بلا منازع؛ بل هو من كبار المنافحين والمدافعين عنها، والمؤلفين في أصولها وفروعها. فله - خلافا لغيره-، جملة من التآليف في هذه العقيدة السنية، منها:

1 - الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة، أي جوهرة التوحيد للقاني.

2 - شرح رسالة الوضع لعضد الدين الإيجي.

3 - شرح السلم، أي السلم المرونق للأخضري في علم المنطق.

4 - شرح صغرى السنوسي، أي عقيدة السنوسي الصغرى.

5 - نظم رسالة الوضع لعضد الدين الإيجي.

6 - نظم عقيدة السنوسي وشرحها.

فهذه ستة كتب في العقيدة الأشعرية ومقدماتها لمؤلفين أشاعرة، توضح بجلاء الجهد الكبير الذي قدمه المترجم في العقيدة الأشعرية، والذي به تميز عن غيره من العلماء.

المبحث الثالث: منهج الشيخ البطاوري في التصنيف في العقيدة

نهج شيخ الجماعة المكي البطاوري في كتبه التي اعتنى فيها بالعقيدة الأشعرية طريقة خاصة، رأى أنها المناسبة لمقصده في تثبيت دعائم هذه العقيدة في قلوب وعقول العامة والطلاب، وذلك باختياره لكتب عامة عمل عليها شروحا، وباختياره لغة خاصة تناسب قدرات الفهم عند أهل زمانه، وباختياره وترجيحه لمباحث عقدية وكلامية خاصة. وسأحاول تقسيم هذه العناصر، إلى مطلبين:

المطلب الأول: اعتناء البطاوري بالعقيدة الوسطى للسنوسي وبجوهرة التوحيد للقاني

إن اختيار البطاوري للعقيدة السنوسية الصغرى وجوهرة التوحيد للأخضري، له دلالة كبرى في نهجه طريقة الأشاعرة المتأخرين في التحرير المنهجي والاختيارات العقدية. وقد أشار إلى هذا الاختيار وذلك المنهج، في مقدمة كتابيه المذكورين.

قال في شرح «أم البراهين»[5]: «الحمد الله الموصوف بكل كمال، المنزه عما لا يليق بها له من العظمة والجلال، الفاعل المختار لما شاء من الأفعال. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين، المبلغ ما أمر بتبلغيه للعالمين، والرضا عن ساداتنا آله وأصحابه حملة الدين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، وأشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق علم التوحيد، الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، الموصلة إلى سعادة الدارين.

وللعلماء فيه تآليف لا تحصى، ومن أشهرها وأنفعها تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة البركة الولي الصالح سيدي محمد بن محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان، المتوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة، رضي الله عنه وأرضاه، خصوصا مقدمته الصغرى التي قال رضي الله عنه مادحا لها: إنها لا نظير لها فيما علمت. ودعا في آخر شرحها لقارئها، بقوله: ومُنَّ اللهم على من حفظ العقيدة بحسن الخاتمة، والفوز بعموم الغفران. اللهم اجعل حفظها لهم نورا عظيما في الدنيا والآخرة، واعطهم بسببها بلا محنة من الفردوس الأعلى أعلى المنازل الفاخرة، واحفظنا وإياهم على الممات من جميع الفتن... إلخ دعائه.

واشتهر من بركاتها ما حكي عن بعض الصالحين، أنه رؤي بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة، ورأيت سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام يُقرئ عقيدة سيدي محمد السنوسي الصبيانَ، وهم يقرؤونها في الألواح، ويجهرون بقراءتها. قال الراوي: وأظنه قال: العقيدة الصغرى... إلى غير ذلك. وعليها للعلماء رضي الله عنهم من الشروح والحواشي ما لا يكاد يحصى، أجلها وأحسنها شرحُ مؤلفها رضي الله عنه...» اهـ كلام البطاوري رحمه الله.

---

5 – "شرح أم البراهين"، للبطاوري، ص 2.

وفيه براعة استهلال عند قوله: «الموصوف بكل كمال»، حيث مذهب الأشاعرة في إثبات الصفات اللائقة لله جل جلاله، مخالفا المعطلة والجهمية؛ وعند قوله: «المنزه عما لا يليق بها له من العظمة والجلال»، لينسجم مع مذهبهم أيضا في تنزيهه عز وجل عن كل أوصاف المحدثات، مخالفا المجسمة والمشبهة؛ وعند قوله أيضا: «الفاعل المختار لما شاء من الأفعال»، ليثبت المشيئة والإرادة مع الحكمة له تعالى، مخالفا مذاهب المعتزلة والقدرية والمعطلة...

وفيه أيضا تصريح باعتنائه بهذه العقيدة، لكونها جمعت أصول وفروع التوحيد على مذهب أهل السنة، على اختصارها وغزارة فوائدها.

ولقد لخص دورَ البطاوري في باب الفكر العقدي، العلامة الدكتور محمد أمين السماعيلي، خلال تقديمه لتحقيق كتاب «شرح البطاوري على أم البراهين»، قائلا[6]: «فهذا العمل هو عبارة عن قراءة آنية لمخطوط (مقدمات على شرح السنوسية)، لشيخ الجماعة محمد المكي البطاوري؛ فهو يمثل مرحلة مهمة من تطور المذهب العقدي في بلادنا المغربية، والذي سار في نهجه على منهج أبي الحسن الأشعري، بعد احتياج الجهد الفكري في عصره إلى مثل ما قام به من عمل، قصد تعاضد الأفكار والآراء، من أجل ثبات الأمة المغربية، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وإخراجها من ارتكاسات ألمت بها من جراء ما مرحت فيه الأفكار، حتى تضيق الأمة وسعا وتستسلم لعدو طالما تربص بها الدوائر. فقيض الله لها شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري، ليلم بشعثها، ويزيل القنط عنها، ويوسع رجاءها في الله وفي نفسها؛ حيث دفع بالتفكير العقدي في الاتجاه الصحيح، بجانب علوم أخرى تبعث على الأمل في طريق التطهير ودرء الصدع، بإشعال فتيل الأمل.

وكان التشابه بينه وبين شيخه الأشعري متشابها، حيث ظهر الأشعري بعد فشل الجهد الفكري الذي بذلته المعتزلة، رجاء الوصول إلى معادلة متوازنة ومقبولة، بين غلو المعتزلة في الأخذ بالدليل العقلي، وبين من قدس النص وجمده على ظاهره، دون مراعاة حوادث الزمن المتغيرة، وذلك في الفترة من النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، والنصف الأول من القرن الرابع، وهي الفترة التي شهدت ازدهار فكر أهل السنة والجماعة. والبطاوري الذي عاش في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، حيث توفي سنة 1936م، وجد الحال في البلاد المغربية تترقبه مصائب المستعمر بكل ألوان التربص، مما جعل تقاييده على السنوسية (أم البراهين) إحياء للتفكير العقدي، وتجديدا للإيمان، لصد كل عدوان على الدين والوطن، وهو تمهيد لترسيخ الهوية الدينية والوطنية». اهـ المقصود منه.

6 - "شرح أم البراهين"، للبطاوري، ص 5.

قلت: وهذه القراءة من خبير تاريخ العقيدة والفرق والنحل في المغرب، الدكتور السماعيلي، اختصار لكل ما يمكن أن يقال عن دور التأليف في العقيدة الأشعرية، بالأسلوب والنهج الذي اختاره البطاوري، حيث جعل له أدوارا فعالة في الدين والدنيا.

ويمكن أن نفكك هذا التحليل النظري الدقيق من شيخنا الدكتور السماعيلي، في الملاحظات الآتية:

- كتابات البطاوري في العقيدة تمثل مرحلة جديدة في تطور الفكر العقدي بالمغرب، وأرى ذلك من جهتين: الأولى من حيث أسلوبه الذي اختار له السهولة والتيسير، والثانية من حيث تصديه لأصوات تسفيه الأشعرية التي ظهرت في زمان البطاوري.
- كتابات البطاوري في العقيدة مسهمة في ثبات الأمة المغربية فكريا ثم سياسيا، حيث إن وحدة العقيدة نواة لاستتباب الأمن في البلاد، والخلاف فيها أصل كل فتنة، كما يشهد لذلك التاريخ الصحيح في كثير من مناطق وبلدان المشرق الإسلامي.
- كتابات البطاوري في العقيدة صححت مسار الفكر العقدي في المغرب، عند ظهور التيارات المخالفة والمشوشة. إذ يفهم من كلام الدكتور السماعيلي، أن العقيدة الأشعرية لا يقتصر اعتناقها على تصديق القلب، بل يتعدى إلى حفظ الأوطان من الشرور الداخلية والخارجية.
- كتابات البطاوري في العقيدة كانت ضرورة فكرية ملحة في ظروف زمانه الفكرية والسياسية.

والحاصل أن الاعتماد على «أم البراهين» في تثبيت كل هذه المعاني والمبادئ، له قيمته المعرفية الواضحة، من حيث الشكل والمضمون، كما سيظهر فيما يلي بحول الله.

أما في ديباجة شرحه على «جوهرة التوحيد»، فقد قال البطاوري[7]: «الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. القادر المريد، الفعال لما يريد. ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، اللطيف الخبير، العلي الكبير. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، الصادق الأمين، والرضا عن آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فهذا تقييد مختصر على (جوهرة التوحيد)، للشيخ العلامة سيدي إبراهيم اللقاني المالكي، المتوفى كما في «كشف الظنون» سنة إحدى وأربعين وألف. وهو نسبة إلى لقانة، قرية من قرى مصر. أخذ عن الشهاب العبادي، والشهاب الخفاجي، والعلقمي، وغيرهم، كما في (نشر المثاني). رحمه الله تعالى، ورضي عنه، ونفعنا ببركته، آمين.

7 – «الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة»، ورقة 1 (مخطوط).

قال العلامة الصاوي في (حاشيتها): كان الشيخ إبراهيم اللقاني من أرباب الأحوال والكشف، وأنشأ هذه المنظومة ليلا، بإشارة شيخ التربية في التصوف، سيدي أحمد عرب الشرنوبي، رضي الله عنه وعن جميع أوليائه، ذكره رحمه الله تعالى في شرح (تائية السلوك).

فقصدت شرحها بما يناسب حال المبتدئين، تسهيلا لتعاطيها، وتبركا بها، وسميته: (الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة)، والله ينفعنا به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير...» اهـ المقصود منه.

وفي هذه الديباجة أيضا براعة استهلال، تدل على مضمون الكتاب؛ إذ أشار بقوله في التقديم: «الحمد الله الواحد الأحد...» إلخ، إلى عقيدة التوحيد الخالص، الذي هو مرتكز مذهب الأشاعرة، وأصلهم الأصيل في مركبات مادة علمهم. وفي قوله: «القادر المريد، الفعال لما يريد...»، إشارة أيضا إلى سلامة مذهب الأشاعرة في نسبة القدرة المطلقة لله جل جلاله، خلافا للطوائف المنحرفة في هذا الباب، كالمعتزلة.

ثم إن البطاوري أوضح منهجه في كتابيه النفيسين في العقيدة الأشعرية، فقال في الأول: «وللعلماء فيه تآليف لا تحصى، ومن أشهرها وأنفعها تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة البركة الولي الصالح سيدي محمد بن محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان، المتوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة، رضي الله عنه وأرضاه، خصوصا مقدمته الصغرى، التي قال رضي الله عنه مادحا لها: إنها لا نظير لها فيما علمت...»

وهو صريح في أن اشتغاله واعتناءه بالعقيدة الصغرى للسنوسي، يرمي إلى تقريب العقائد المختصرة للعموم، وحثهم على معرفة أصول هذه العقيدة، التي بها تتحقق الغاية من التكليف، بمعرفة الله ورسله وكل أمور السمعيات.

ثم أكد على منهجه في «شرح أم البراهين»، قائلا[8]: «ولما كان هذا العلم أول واجب على المكلف، وقد يقصر إدراك المبتدي عن بعض عبارات ذلك الشرح الحفيل، رأيت أن أقيد على المقدمة المذكورة شرحا يكون كالمقدمة لشرح المؤلف، مقتصرا فيه على حل ألفاظ المتن بعبارات واضحة يفهمها كل أحد، لكي يسهل معه تكرار المقدمة المذكورة، فترسخ عقائد الإيمان، ويعم النفع إن شاء الله سبحانه...اهـ

المطلب الثاني: النهج التأصيلي للشيخ البطاوري في كتبه العقدية

لقد لخصه الدكتور محمد أمين السماعيلي في مقدمة تحقيقه لـ «شرح أم البراهين»، فقال[9]: «وضع محمد بن المكي البطاوري منهج أبي الحسن الأشعري والباقلاني والجويني والغزالي، وسار على هديهم محافظا على

8 - "شرح أم البراهين"، ص 3.

9 - "شرح أم البراهين"، ص 3.

أصل تفكيرهم، ومقيدا قواعدهم باجتهاد منه قويم، يحلل ويناظر، ويفهم الأصول المبنية على الوحي، ويقرئ القواعد التي وضعها أهل العلم دون شطط في الفهم، أو تزيد على النص. همه التوصل إلى ترسيخ العقيدة في النفوس، والإقناع بها في القلوب، وجعل هدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم نبراسا يهتدى به، مما حبب شرحه لكل قارئ مريد للحق باحث عنه، في سلامة أسلوب، وحدة راسخة، وتقرب من الحق، دون حصره في هوى أو طيب ساذج، بل المبتغى المقصود هو الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل العمل خالصا لوجهه الكريم ... اهـ

هذه ملاحظ مختصرة عن منهج الإمام البطاوري في كتابيه الرئيسين في العقيدة: «شرح أم البراهين» و«شرح جوهرة التوحيد»:

ففي كتاب «شرح أم البراهين» اعتمد على الطريقة الآتية: التقديم بالبسملة، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحمدلة، مع مراعاة براعة الاستهلال، للإشارة لموضوع تأليفه، كما مر بيانه.

ثم الحديث عن علم العقيدة باعتباره أشرف العلوم، والدلالة على ذلك.

ثم الحديث عن أشرف وأنفع التآليف في علم العقيدة، وذكر كتاب أم البراهين للسنوسي، وبيان خصائصه وبركاته المشتهرة عنه.

ثم ذكر الشروح الكثيرة المعتمدة لأم البراهين موضوع الشرح.

ثم ذكر أنفع الشروح وأولاها بالاعتبار، وهي شرح مؤلفها الإمام السنوسي نفسه.

ثم ذكر المقصود من شرح المؤلف على السنوسية، مع كثرة الشروح السابقة، وبيان غرضه، بكونه يروم التسهيل والتقريب.

ثم شرح البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باختصار شديد.

ثم الشروع في شرح باقي مباحث الكتاب العقدية، والذي تميز بالمنهج العلمي الرصين، المبيَّن في المباحث الآتية:

- يعتمد الشارح الشيخ البطاوري ذكر المقصود من صنيع المؤلف السنوسي، وحكمة تقديم بعض المباحث على بعض، تيسيرا للطالب وتدريجا له للوقوف على الغاية من هذا العلم.
- يميل إلى إعراب بعض الكلمات، يبتدئ بها الشرح لزيادة الوقوف على المعاني الدقيقة لكلمات المؤلف، مثلا في مقدمته قال: «(اعلم) فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب، وهو هنا كل عاقل».

- يعتمد تعريف الكلمات العلمية الدقيقة تعريفا اصطلاحيا، كما في قوله في تعريف الحكم: أن الحكم، وهو إثبات أمر الأمر، كإثبات وجوب صلاة الظهر، في قولنا: صلاة الظهر واجبة؛ أو نفي أمر عن أمر، كنفي الوجوب عن صلاة الضحى، في قولنا: صلاة الضحى ليست واجبة. اهـ

- يعتني بشرح التعاريف التي يوردها المؤلف السنوسي زيادة في البيان، كما في قوله في تعريف الواجب عند قول السنوسي: "فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه"، أي ما لا يقبل العقل عدمه ونفيه، وهو قسمان: ضروري ونظري ... إلخ.

- يعتني البطاوري بذكر الأمثلة لمقالات المؤلف، تبصيرا وتبيينا للمطالع، كما في قوله: فالضروري هو الذي يدركه العقل دون تأمل، مثاله: "حركة الذات، فإنها جائزة يقبل العقل وجودها في الذات، فتكون الذات متحركة؛ ويقبل أيضا عدمها، بأن تكون الذات ساكنة، ولا يحتاج إلى تأمل". اهـ

- يستدل في شرحه أحيانا بكتاب الله تعالى، كما في قوله للدلالة على ما يجب على المكلف معرفته، لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: (51)]، «ولا تكون العبادة إلا بعد معرفة المعبود» اهـ.

- يستدرك المؤلف أحيانا على الشارح استدراكا للبيان والتفصيل، لإزالة الأوهام اللازمة عن احتمالات الحسبان الخيالي، فيفصل متى اقتضى البيان ذلك، كما في حديثه عن صفة المخالفة للحوادث: "وما ورد في القرآن، كما يظهر منه خلاف ذلك، كاليد والوجه، في قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح 10]، وقوله سبحانه: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن 27]، فيجب علينا أن نعتقد أن ظاهره وهو الجارحة، محال لا يتصور في العقل وجوده، لأنه تعالى مخالف لخلقه، ونقول: الله أعلم بمراده. اهـ

وكما استدرك في تفسير عدم وجود شيء في الكون لا يريد تعالى وجوده، فقال: وإنما فسر المصنف هنا الكراهة بعدم الإرادة، احترازا من الكراهة بمعنى النهي، فليست محالا في حقه تعالى، بل هي جائزة، فقد أوجد سبحانه كثيرا من الأفعال مع نهيه عنها، كالمعاصي التي تصدر من الخلق، فإنها واقعة بإرادته سبحانه، والمحال هو أن يوجد شيء من كونه تعالى غير مريد له تعالى أن يقع في ملكه ما لا يريد. اهـ

أما في كتاب الشيخ البطاوري الآخر، «الحلل المجوهرة في شرح الجوهرة»، فقد اعتمد في تحرير المباحث العقدية، طريقة مقاربة لمنهجه في شرح «أم البراهين»، معتمدا الاختصار وتقريب المعاني، وترك الخوض في الفروع المنطقية الجدالية، مع بعض الخصائص في «الحلل»، أجمل ذكرها فيما يلي:

- تدبيج الشرح بمقدمة سجعية.

- التصريح بغرض التأليف.

- الحديث عن قيمة القصيدة.
- الاعتناء بشرح البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، شرحا مختصرا، على خلاف عادته في باقي مصنفاته الأخرى، خاصة الأدبية منها، التي يطيل فيها النفس في بيان المعاني والدقائق والأسرار والنفائس.
- الاعتناء بالإعراب المختصر للكلمات والجمل.
- الاعتناء في التقديم ببعض الألوان البلاغية.
- من ميزات هذا الشرح، أي "شرح الجوهرة"، اعتماد الشيخ البطاوري أحيانا على بعض الأبيات الشعرية، تقوية لمنزعه وتوكيدا لمذهبه، على عادة الشراح، كما في قوله عند بيان معنى آل البيت:

علي وعباس عقيل وجعفر   وحمزة هم آل النبي بلا نكر

- ومن ميزات هذا الشرح أيضا، توثيق النقول، وذكر الأصول المعتمدة، كما في قوله: «قال ابن الأثير: أجمع المحققون على أن فصل الخطاب هو: أما بعد...». وهذا لا يكاد يوجد له مثيل في «شرح أم البراهين».
- يتعرض الشيخ البطاوري في "الحلل" أحيانا للخلاف في بعض المباحث الدقيقة دون تفصيل فيها، بخلاف منهجه في "شرح أم البراهين"؛ فمثلا، قال في مبحث (أول واجب على المكلف)، لما قدم أن المعرفة بالله تعالى ومعرفة رسله واجبة على المكلفين، ذكر أنها أول الواجبات، وهو قول الإمام الأشعري. وقيل: أول الواجبات النظر الموصل إليها، ونُسب له أيضا. وقيل: القصد إلى النظر، أي تفريغ القلب عن الشواغل، ونُسب للقاضي الباقلاني. وقيل: غير ذلك.

مما تقدم، يتبيّن أن للمغاربة حضورا في التمسك بالعقيدة الأشعرية والدفاع عنها. وما جهود الشيخ محمد البطاوري إلا نموذج يزكي ما تقدم في البحث أعلاه، رحمه الله تعالى وغفر له.